السنة الخامسة والثلاثون من مولده ﷺ

فيها هدمت قريش الكعبة. قال علماء السير: كان أمر البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى ولده نَبْت، ولم يكثر ولد إسماعيل عليه السلام، فغلبت جُرْهُم على البيت، فأول من وليه منهم: مُضاض الجرهمي الذي يقول ولد ولده عمرو بن الحارث بن مُضاض: [من الطويل]

كأن لم يكن بين الحَجون إلى الصفا

البيت المشهور، فلم يزل البيت في أيديهم حتى استحلُّوا حرمته، وأكلوا ما يُهْدى إليه، وظلموا من دخل مكة، ولم يقنعوا بهذا حتى إن الرجل منهم كان إذا أراد أن يزني ولم يجد مكاناً، دخل البيت فزنى فيه، وكان رجل من جُرهم يقال له: إسافٌ، ونائلةُ زنيا في الكعبة، فَمُسِخا حجرين، وسلط الله الرُّعاف والنمل على جُرهم فأفناهم.

ثم وليت خُزاعة البيت بعد جُرهم، إلا أنه كان إلى قبائل مضر ثلاث خلال: الإجازة بالناس من عرفة يوم الحج إلى مزدلفة تجيزهم صوفة[١]. والثانية: الإفاضة من جَمْع غَداة يوم النحر إلى منى، وكان ذلك إلى [بني][٢] زيد بن عَدْوان وكان آخر مَن وَلي ذلك منهم: أبو سَيَّارة، واسمه: عُمَيلة[٣] بن الأعزل. والثالثة: نَسيءُ الأشهر الحرم، وكان ذلك إلى القَلَمَّسِ واسمه: حُذَيفة بن فُقيم من ولد كنانة، ثم صار ذلك إلى أبي ثمامة جُنادة بن عوف في آخر الأمر.

وجاء الإسلام، وكانت الكعبة رَضَمةً فوق القامة، وكان كنز الكعبة في بئر في جوفها، وكان في حيطانها صور الأنبياء عليهم السلام بأنواع الأصباغ، وصورة إبراهيم عليه السلام وفي يده الأزلام يستقسم بها[٤]، وإسماعيل عليه السلام إلى جانبه فرس يجيز الناس، وصورة أولاده إلى عدنان وسيرة كل واحد، وكانت ستين صورة، فَسَرق كَنْزَ الكعبة دُوَيكٌ مولى

---

(١) الصوفة: كل من ولي شيئاً من عمل البيت.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٢/ ٢٨٦، والمنتظم ٢/ ٣٢٣.

(٣) في النسخ: «عمير» والمثبت من المصادر، وانظر «الإصابة» ٤/ ٩٧-٩٨.

(٤) أخرج البخاري (٣٣٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمحيت، ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله، والله إن استقسما بالأزلام قط».

بني مُلَيح، فقطعت قريش يده، ولم تكن الكعبة مُسقَّفة، فعزموا على تسقيفها، وكان فيها حَيَّةٌ تأوي إلى البئر التي يُطرح فيها ما يُهدى إلى الكعبة، وكانت تخرج من البئر فتمتد على جدار الكعبة، فإذا قصدها أحد فتحت فاها وطلبته فانهزم، فامتنعوا من رفع جدار الكعبة وتسقيفها، فبعث الله طائراً فاختطف الحية ومضى، فقالت قريش: إن الله قد رضي عنا وقَبِلَ ما قد عزمنا عليه لأنه كفانا أمر الحية[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان السيل يأتي مكة فيدخل الكعبة فانصدعت، فخافوا أن تنهدم، وكان باب البيت موضوعاً لاصقاً بالأرض، فأقبلت سفينة في البحر فيها روم، ورأسهم رجل يقال له: باقوم، فألقتها الريح إلى الشُّعيبة، وكانت مرمى السفن قَبْلَ جُدَّة فتحطمت، فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش فابتاعوا خشبها، وكلموا باقومَ أن يَقْدُمَ مكة معهم فقدم، وقال: هذه السفينة بعث بها قيصر إلى الحبشة في بحر القُلزُمِ ليبنيَ بها هناك كنيسة[٢].

وأجمعوا على هدم الكعبة، فقام أبو وهب بن عَمْرو المخزومي فأخذ حجراً من الكعبة، فوثب من يده حتى رجع إلى مكانه فقال: يا معشر قريش، لا تُدْخِلوا في بنائها من كسبكم إلا طَيِّباً، ولا يكون فيه مهر بَغيٍّ ولا ربا ولا مظلمة.

وهاب الناس هدمها، فأخذ الوليد بن المغيرة المِعْوَل، وصعد عليها وقال: اللهمَّ لم تُرَعْ[٣] فَما نُريدُ إلَّا الخَيْرَ، ثم هدم ناحية منها فتربَّص الناس وقالوا: ننتظر هذه الليلة فإن نزل بالوليد أمر وإلا هدمناها، فأصبح الوليد غادياً إليها وقريش معه، فنزعوا منها حجراً فتحركت مكة بأسرها، ثم هدموا فظهر في الأساس حجارةٌ خضر، كأنَّهما أسْنِمة البُخْت، ثم شرعوا في جمع الحجارة ورسول الله ﷺ ينقل معهم، وكانوا يرفعون أُزُرَهم على عواتقهم ويحملون الحجارة على رؤوسهم، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فليط

(١) انظر «سيرة ابن هشام» ١/ ١٧٨-١٧٩ .

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٢٠ ، و«أخبار مكة» للفاكهي (١٩٩)، و«أخبار مكة» للأزرقي ١/ ١٥٧ ، و«المنتظم» ٢/ ٣٢٥ .

(٣) ترع: بمثناة فوقية فراء مفتوحة، أي: لم تفزع، أي: الكعبة. ويروى: «نَزِغ» بفتح النون وكسر الزاي وبالغين المعجمة أي: لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه. «السيرة الشامية» ٢/ ٢٣٥ .

به ـ أي: انكب على وجهه ـ، ونودي: عورتَك، فكان ذلك أَوَّلَ ما نودي به من النبوة، فقال له أبو طالب: اجعل إزارك على رأسك. فقال: ما أصابني ما أصابني إلا في تعرِّيَّ. فما رُئيت لرسول الله ﷺ بعد ذلك عورة، ثم اقترعوا على بناء البيت بعد هدمه، فوقع لبني عبدمناف وبني زهرة ما بين الركن الأسود إلى ركن الحجر، وجه البيت، ووقع لبني أسد بن عبدالعُزَّى وبني عبدالدار ما بين ركن الحِجْر إلى ركن الحِجْر الآخر، ووقع لبني تيم [ومخزوم][1] ما بين ركن الحِجْر إلى الركن اليماني. ووقع لبني سَهْم وبني جُمَح ما بين الركن اليماني إلى الحجر الأسود. فلما بلغوا موضع الركن، اختصمت القبائل كل قبيلة تريد أن ترفعه، وشرعوا في القتال وأقاموا أياماً على ذلك، وكان أبو أمية بن المغيرة أسنَّ قريش يومئذ فقال: اجعلوا بينكم أوَّلَ داخل من باب المسجد، فرضوا. وكان رسول الله ﷺ أول داخل، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، قد رضينا به، فقال لهم: هلموا ثوباً، فجاؤوا به فوضعوا [الركن] فيه، وقال: ليأخذ كلُّ سَيِّدِ قبيلة بناحية منه فليرفعوه جميعاً، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه أخذه رسول الله ﷺ فوضعه مكانه.

وقال الواقدي: كان في ربع بني عبدمناف: عتبة بن ربيعة، وفي الربع الثاني: أبو زمعة، وفي الثالث: أبو حذيفة بن المغيرة، وفي الرابع: قيس بن عدي، فلما بلغوا خمسة عشر ذراعاً، سقفوه على ستة أعمدة، فذهب رجل من أهل نجد ليناول رسول الله ﷺ حجراً يشد به الركن، فقال: لا[2] ونحّاه. وناول العباس رسول الله ﷺ حجراً فشد به الركن، فغضب النجدي، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّه ليسَ يبني مَعَنا في هذا البيت إلا رجل منَّا». وكان ذلك أول تحكيمهم رسول الله ﷺ، فقال النجدي: قد حكموا أصغرهم سناً، واللات والعزى ليكونن له شأن وليفوتنهم سبقاً. وقيل: إن النجدي كان إبليس تصوّر بصورة رجل من أهل نجد، وبه يُضرب المثل، فيقال: الشيخ النجدي، وأخرجوا الحِجْر من البيت لقلة نفقتهم[3].

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من المصادر.

(٢) في النسخ: «كذا» ولعلها محرفة عن: «كلا» والمثبت من المصادر.

(٣) انظر «سيرة ابن هشام» ١/ ١٧٨-١٨٤ ، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٢٠-١٢٢ ، و«المنتظم» ٢/ ٣٢٠-٣٢٧.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ: «إنَّ قَومَك استَقْصَروا مِن بُنْيانِ البَيتِ، ولَوْلا حَدَاثة عَهدِهم بالشِّركِ لأَعَدتُ فيه ما تَركوا منه، وَجَعَلْتُ له بَابَيْن مَوضُوعَيْن في الأَرضِ، وبَاباً شَرقيًّا وبَاباً غَربيًّا، فإنْ بَدَا لقَومِك أنْ يَبنُوهُ، فَهلُمِّي أُريكِ ما تَرَكُوه منه، فأرَاهَا قَريباً من سَبعةِ أَذرُعٍ في الحِجْر» ثُم قال: «أَتَدرِينَ لِمَ رَفَع قومُك البَابَ»؟ قلتُ: لا. قال: «تَعزُّزاً أنْ لا يَدخُلَها إلا مَن أَرادُوا، وكانَ الرَّجُل إذا كَرِهوا أنْ يَدخُلَ تَركُوه حتى إذا كادَ أن يَدخُلَ دَفَعوه فَسَقط[1]».

ولما تمَّ بناؤها، كساها الزُّعَماءُ أرديتهم، وكانت من الوصائل[2]، وأعادوا الصور إلى ما كانت عليه، ولم يكسها أحد بعد ذلك حتى كساها رسول الله ﷺ الحِبَرات في حجة الوداع.

وفي هذه السنة: ولدت فاطمة عليها السلام.

فصل وفيها توفي

زيد بن عمرو بن نُفَيْل

قال هشام بن محمد، عن أبيه: خرج زيد بن عمرو وورقة بن نوفل إلى الشام يسألان عن الدين الصحيح، فالتقيا راهباً، فسألاه، فقال لهما: بعد قليل يبعث نبي من مكة، فرجعا فأقاما. فأما ورقة فقال: أنا ثابت على نصرانيتي حتى يظهر هذا الدين. وأما زيد فقال: أنا أعبد رب هذا البيت حتى يظهر هذا الدين.

وكانت صفية بنت الحَضْرمي امرأة زيد، كلما عزم زيد على الخروج إلى الشام، آذنت الخَطَّاب فمنعه، فخرج إلى الشام وطاف الجزيرة والمَوْصِل، ثم عاد إلى البلقاء فلقي راهباً انتهى إليه عِلْمُ النصرانية، فسأله عن الحَنَفيَّة، فقال له: إنك لتسأل عن دين ما أنت عليه وقد درس، وقد أظلك خروج نبي يبعث بأرض مكة التي خرجت منها، فارجع إلى بلادك التي خرجت منها فإنه مبعوث الآن وهذا زمانه. فخرج سريعاً يريد مكة، حتى إذا كان بأرض لَخْم عَدَوْا عليه فقتلوه[3].

---

(١) أخرجه ابن سعد ١/ ١٢٢ ، وأصله عند البخاري (١٥٨٦)، ومسلم (١٣٣٣) (٤٠٣).

(٢) انظر «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ١٧٢ .

(٣) ساق الخبر بتمامه ابن عساكر في «تاريخه» ٩/ ٤٩٨ ، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٢/ ٢٢١-٢٢٢ ، =

وقال هشام: قتل زيد بن عمرو بالبلقاء بمكان يقال له: مَيْفَعةُ، وقيل: مات بمكة في أصل حراء[١].

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بُكَير، حدثنا اللَّيث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن ابن المسيَّب، عن نافع، عن ابن عمر قال: لقيَ رسول الله ﷺ زيد بن عمرو بن نُفيل والد سعيد بن زيد بأسفل بَلْدَح، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدَّم إليه رسول الله ﷺ سُفرةً فيها لحم، فأبى زيد أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما يذكر اسم الله عليه[٢].

وأخرج البخاري: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: رأيت زيد بن عمرو قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة وهو يقول: والله يا معاشر قريش، ما منكم على دين إبراهيم غيري، قالت: وكان يحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها وأنا أكفيك مؤنتها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت فدعها[٣].

وقال ابن المسيب: توفي ابن عمرو وقريش تبني الكعبة قبل المبعث بخمس سنين، ولقد نزل به الموت وإنه ليقول: أنا على دين إبراهيم، وأسلم ابنه سعيد، وهو من العشرة، قال: وسأل سعيد رسول الله ﷺ عن أبيه؟ فقال: «غَفَر الله له ورَحِمَه، فإنَّه ماتَ على دِينِ إبراهيمَ» فكان المسلمون يستغفرون له[٤].

وقال ابن سعد: حدثنا أبو أسامة، عن مجالد، عن عامر بن ربيعة، قال: قال زيد بن عمرو: أنا منتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب ما بقي غيره، وما أراني أدركه، وأنا أومن به، وأشهد أنه نبي، وإن طالت بك يا عامر مدة ورأيته فأَقْرِئه مِنّي السلام، وسأخبرك بنعته: ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكَثِّ الشعر ولا بقليله، وليس

= وانظر «السيرة» لابن هشام ١/ ٢٠٤، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٣٦، وأخرجه البخاري (٣٨٢٧)، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ١٢٤.

(١) انظر «تاريخ دمشق» ١٩/ ٥١٦.

(٢) هذا الحديث بهذا الإسناد ليس في شيء من الكتب الستة، انظر تحفة الأشراف ٦/ ٩٦ـ٩٩، وأخرجه البخاري (٣٨٢٦) عن محمد بن أبي بكر، عن فضيل بن سليمان، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر، به.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٢٨).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٥٣-٣٥٤، وابن عساكر في «تاريخه» ١٩/ ٥١٢.

تفارق عينيه حمرة، وخاتَمُ النبوة بين كتفيه، واسمه محمد وأحمد، وهذه البلدة مولده، وبها مبعثه، ثم يخرجه قومه منها، ويكرهون ما جاء به فيهاجر إلى يثرب، فيظهر الله أمره، وإياك أن تخدع، فإني طفت البلاد كُلَّها أطلب الدين، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدين وراءك. قال: فلما نُبّئ رسول الله ﷺ أخبرته بقول زيد، وأقرأته منه السلام، فترحَّم عليه وقال: «رَأَيتُه في الجنَّة يَسْحبُ ذُيولاً»[١].

وخرجت سنة ست وثلاثين، وسبع وثلاثين ولم يتجدد فيها من الحوادث شيء.

* * *

السنة الثامنة والثلاثون من مولده ﷺ

فيها رأى الضوء، وسمع الصوت.

قال ابن مسعود: أقام بمكة ثلاث سنين يسمع الصوت ولا يدري ماهو، ويرى الضوء، وأقام ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ـ يعني بمكة ـ[٢].

* * *

السنة الأربعون من مولده ﷺ

وفيها قتل كسرى أَبَرْويزُ النُّعمانَ بنَ المنذر. قال الواقدي: قتل قبل المبعث بتسعة أشهر[٣].

وفيها كان يوم ذي قار، وكان لبني شيبان على كسرى، وهو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم. وفي حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «وبي نُصِرُوا»[٤].

---

(١) «الطبقات الكبير» ١/ ١٣٥-١٣٦ و ٣/ ٣٥٢عن الواقدي، عن علي بن عيسى الحكمي، عن أبيه، عن عامر. ولم نقف فيه على الإسناد الذي ذكر المصنف، وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٤١٩)، والطبري ٢/ ٢٩٥، وابن عساكر في «تاريخه» ١٩/ ٥٠٤ ،وابن الجوزي في المنتظم ٢/ ٣٢٨ من طريق ابن سعد .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٥٣)(١٢٣) من حديث ابن عباس، ولم نقف عليه من حديث ابن مسعود.

(٣) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٣٢ .

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ٦٣ من حديث الأخرم عن النبي ﷺ، والطبراني في «الكبير» (٥٥٢٠) من حديث سعيد بن العاص مطولاً.